الحروب المعاصرة
أفكار في أهدافها الخارجية والداخلية

أديب نعمه
مستشار في التنمية

الحروب المعاصرة
أفكار في أهدافها الخارجية والداخلية

أديب نعمه
مستشار اول للسياسات في شبكة المنظمات العربية غير الحكومية للتنمية -
خبير في دراسات الفقر والسياسات الاجتماعية.

لبنان- نيسان/ابريل 2026

**إن دولة الحق هذه، دولة القانون بامتياز، هي التي تحتكر،
على عكس الدول ما قبل الرأسمالية، العنف والرعب
(الترهيب، الارهاب) المطلق، اي احتكار الحرب.**

— نيكوس بولانتزاس

تقديم

باتت الحروب مكونا أساسيا من حياتنا، وهي كذلك في بلداننا منذ عقود. وبحكم "خبرتنا" الطويلة كضحايا في هذا المجال، ربما بات علينا التفكر في علاقة التآثر (التأثير التفاعلي المتبادل) بين الابعاد والاهداف الخارجية/الدولية لهذه الحروب، وبين الابعاد والاهداف الداخلية المتعلقة بالصراع السياسي على السلطة في البلدان المنخرطة فيها.

النص الحالي محاولة أولى او "تفكير بصوت عال" لا أكثر في هذا الموضوع، يسعى لتجاوز التفكير النمطي. المقصود هنا هو الحرب بين الدول او بين الدول واشباه الدول، لا الحروب الاهلية. **الفرضية الرئيسية هي ان الترابط بين الأهداف الخارجية والداخلية للحرب له طابع عضوي وهيكلي بحيث لا يجوز اغفال أيا منها اثناء دراسة حرب معينة، او التقليل من اهميتها.**

يتطلب ذلك التمعن في الصيغ المحتملة للعلاقة بين الأهداف الخارجية والداخلية للحرب واستكشاف الاجابة على الأسئلة الرئيسية التالية:

1. ما هو اتجاه التأثير: من الخارجي الى الداخلي او بالعكس او بالاتجاهين؟
2. ما هي علاقة التأثير والتوازن بين المكونين الخارجي والداخلي: وهل أحدهما محدِّد والآخر تابع؟
3. ما هي ديناميات التأثير المتبادل؟ وما هي العوامل والمحددات التي يمكن تؤدي الى تبدل المسارات واتجاهات التأثير؟ وهل ان تبدل المواقع والاهمية يمكن ان يتم في الاتجاهين ربطا بالتطورات والتقدم او الإعاقة في أي من المسارين؟

فيما نخوض مغامرة هذا التحليل هذا، فإن الخلفية هي الحرب الدائرة حاليا بين اميركا وإسرائيل وإيران، مع توقف خاص عند دراسة الحالة اللبنانية في قسم خاص لاحق من هذا النص.

تمجيد الحرب

البداية من المنطلقات "الفلسفية" والقيمية في النظر الى الحرب. ففي العلوم السياسية وحتى في القانون الدولي، وفي الخطاب السياسي، هناك تمييز بين ما يعتبر **حربا مشروعة** (الدفاع عن النفس وعن الأرض، او الحرب التحررية من اجل الاستقلال والحق في تقرير المصير...)؛ وما يعتبر **حربا غير مشروعة** بما هي عدوان غير مبرر من وجهة نظر القانون الدولي، أي ما يشكل اعتداء او احتلالا او انتهاكا لسيادة دولة ما من قبل دولة أخرى لأي سبب. ولا يتعلق الامر هنا بالتبرير السياسي حصرا، بل بالقانون الدولي – على الرغم من كل الالتباسات في هذه الأخير – وبالسياقات والآليات التي تشن الحرب وفقها.

على سبيل المثل، الحرب الأميركية (وحلفائها) على العراق عام 2003 وقعت خارج الموافقة المؤسسية للأمم المتحدة فاعتبرت غزوا واحتلالا، الى ان تقرر تغيير الوصف لاحقا في ضوء تدخل مجلس الأمن ودخول الأمم المتحدة كطرف لإدارة مرحلة ما بعد الغزو الأميركي؛ فتغير الوصف في ادبيات الأمم المتحدة تبعا لذلك. من جهتها، **استحدثت القوى العظمى** التي تشن الحروب اليوم، مفاهيم مثل الحرب "الاستباقية" لخطر محتمل من الدولة التي تخاض الحرب ضدها؛ او الحرب "لأسباب إنسانية"؛ او للتخلص من الإرهاب او المخدرات او انتهاكات حقوق الانسان ضد دولة "مارقة" خارجة على القانون الدولي. تعمل هذه المفاهيم بصفتها تبريرات تحاول اضفاء قيمة أخلاقية على الحروب العدوانية التي يخضونها.

من منظور الدول المستضعفة التي تتعرض للاحتلال او للاعتداءات، أي تلك التي تخوض حروبا دفاعية مشروعة مسنودة بالقانون الدولي، فإن تأكيد الطابع القيمي والأخلاقي لهذه الحرب الدفاعية او التحررية أكثر سهولة، لا بل ان ذلك يعتبر بديهيا. **إلا ان ثمة خيطا رفيعا بين ان نكون متيقنين من مشروعية حقنا في الدفاع عن النفس وعن الحقوق** والمشاركة بفاعلية في ممارسة هذه الحق بكل الاشكال التي يتيحها القانون الدولي، لاسيما مقاومة الاحتلال بكل الاشكال من اجل الاستقلال والحق في تقرير المصير؛ **وبين ان نعتبر انه يمكن ان تكون للحرب – أي حرب – قيمة أخلاقية بذاتها**، وان نتعامل معها باعتبارها خيارا طوعيا يمكن ان يصل في بعض الحالات الى نوع من التمجيد. هذه إشكالية راهنة، نجد صداها في الموقف من الانتهاكات الخطيرة لقوانين الحرب وقواعدها في الاتفاقيات الدولية، لاسيما ما يتعلق بجرائم الحرب او الجرائم ضد الإنسانية التي تمارس اثناء الحروب.

الحرب نفسها هي الجريمة

الفكرة الأساسية هنا هي ان **الحرب نفسها هي الجريمة الكبرى والاصلية، بل هي أبشع الجرائم التي ابتكرتها الحضارة البشرية**[1]. فإذا كان واضعو نصوص القانون الدولي وقواعد الديبلوماسية الدولية يدركون استحالة وقف الحروب بين الدول، فهم سعوا على الأقل الى وضع قواعد وضوابط للتخفيف من الفظاعات التي يرتكبها المتحاربون لاسيما الأقوياء والمعتدون منهم اثناء خوض حروبهم. ومن هذه القيود والقواعد ضبط استخدام أسلحة الدمار الشامل، والأسلحة البيولوجية والكيميائية، وعدم التعرض للمدنيين، وعدم التعرض للسفارات والهيئات الديبلوماسية، والمراكز الصحية، والمدارس والجامعات، والمواقع الأثرية، بالإضافة الى قواعد معاملة أسرى الحرب...الخ. هذه كلها **محاولات للضبط لا يمكن تفسيرها بأي شكل من الاشكال بأنها تعني أن الحروب التي تُحترم فيها هذه القواعد** ولا يقوم المتحاربون فيها بجرائم حرب او بجرائم ضد الإنسانية **هي حروب مقبولة أخلاقيا او سياسيا**. الحرب نفسها دائما هي الجريمة وهي الانتهاك للحقوق. **وما القواعد إلا محاولة لمنع المحاربين من الافناء المتبادل، او إبادة شعوب ضعيفة او إزالة بلدانها من الوجود.**[2]

بهذا المعنى يجب ان يكون لنا **نظرة مخالفة للرأي القائل ان "الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى"** كما لفت نظرنا الى ذلك الصديق غسان صليبي في أحد مقالاته[3]، وهو محق في ذلك. فالحرب، والسياسة (ومعها الديبلوماسية على المستوى الدولي) هما طريقان مختلفان في إدارة المصالح الخارجية والداخلية. الطريق الاول يقوم على الحرب والعنف والقوة والقسر؛ والثاني يقوم على تحقيق الأهداف بوسائل سلمية – بما في ذلك استخدام اشكال مختلفة

1 انظر الاستشهاد من نيكوس بولانتزاس الذي افتتحنا به هذا النص. وهو مأخوذ من كتابه "الدولة، السلطة، الاشتراكية". باللغة الفرنسية: C'est cet État de droit, l'État de la loi par excellence qui détient, à l'encontre des États précapitalistes, le monopole de la violence et de la terreur suprême, le monopole de la guerre. وفيه يصف بولانتزاس الحرب بـ "الرعب المطلق" terreur suprême وهو ما ينفي عنها أي قيمة أخلاقية (المصطلح الفرنسي يحيل أيضا من الناحية اللغوية الى فكرة الترهيب والإرهاب، وهو هنا غير الإرهاب terrorisme).. ثمة عناصر أخرى في هذا الاستشهاد لا تتعلق بالفكرة التي نتطرق اليها هنا، نشير الى جانب منها في مكان اخر. Nicos Poulantzas : l'Etat, le Pouvoir, le Socialisme. Les prairies ordinaires; Collection • Essais 2013.

2 قارن مع الفكرة الماركسية التي تكشف عن الطبيعة الطبقية للدولة، وأنها وسيلة واداة بيد الطبقات الحاكمة لقمع الطبقات المحكومة والتحكم بها واستغلالها؛ وهي في الوقت عينه ضرورية كمنظم للصراع الطبقي حيث انه في غيابها (كمنظم) يمكن للطبقات في صراعها غير المنضبط ان تؤدي الى فنائها الخاص او المتبادل والى تدمير المجتمع.

3 غسان صليبي، " "الحرب" او عندما تفترس كلمة لعينة ثلاث كلمات أخرى يحيا بها البشر". مقال في جريدة النهار اللبنانية، نشره الكاتب على صفحته في فيسبوك بتاريخ 2022/3/21 ومما جاء فيه: "كيف تركتم يا رجال الفكر شخصا مثل كلاوسفيتز يهيمن على الفكر السياسي، ورددتم معه كالببغاء أن "الحرب امتداد للسياسة لكن بطريقة أخرى"؟ ... لا ليست الحرب امتدادا للسياسة بل قطيعة معها... شرط اشتغال السياسة تحييد السلاح، وشرط الحرب هو تحييد السياسة... الحرب هي عندما يقرر المستبد تعليق السياسة التي لم تعد تسمح له بالهيمنة والتسلط بآلياتها الخاصة. أكان هذا المستبد نابليون أو هتلر او بوتين أو بوش أو نتانياهو أو الأسد أو خامنئي...لا تعتقد أبدا أن الحرب ليست جريمة، مهما كانت ضرورية أو مبررة، كتب همنغواي".

من القوة الاقتصادية او السياسية – ومن خلال الحوار وآليات الحوكمة الدولية او آليات تداول السلطة سلميا بشكل ديمقراطي داخل البلد.

ان تفكيك وسائل وأدوات الطريق السياسي والديبلوماسي سواء تم ذلك من خلال إعاقة ناعمة او متدرجة، او من خلال بترها الفجائي والعنيف بإعلان الحرب الصريحة، لا يمكن ان ينظر اليه ابدا باعتباره استمرارا للسياسة والديبلوماسية، بل هو اغتيال للديبلوماسية وقتل للسياسة، لا يمكن ان نضفي عليه أي مشروعية أخلاقية وقيمية من أي نوع. فالحرب تدمر كل شيء، بما في ذلك نسيج المجتمعات وديناميات تطورها الارتقائية، كما تدمر النفوس ومنظومة القيم والأخلاق والمعرفة...الخ، وهي جوانب سنتطرق ال بعضها لاحقا.

عسكرة السياسة الخارجية: الولايات المتحدة الاميركية

ابعد من الحرب، هناك العسكرة التي تتجاوز الدخول في مواجهات عسكرية بالسلاح. العسكرة هي تمدد الحرب ومنطقها وديناميا‌تها لتشمل الاقتصاد والسياسة والاجتماع والثقافة والسلوكيات وصولا الى كل نواحي المجتمع والحياة العامة والخاصة (الافراد). والعسكرة هذه متعددة الاشكال يبرز منها **نموذجان: اولهما عسكرة العولمة والسياسية الخارجية والعلاقات الدولية؛ وثانيهما هو عسكرة المجتمع والناس.**

تمثل الإدارة الأميركية الحالية ورئيسها (الرئيس دونالد ترامب) **النموذج الأبرز لعسكرة السياسة الخارجية والعلاقات الدولية أي عسكرة العولمة.** ويكون مثل هذا الامر ممكنا إذا كان صاحب مشروع العسكرة هذه اقوى دولة عسكريا واقتصاديا في العالم، أي انه قادر على تقديم تصوره لإدارة العالم بكونه مشروعا "واقعيا" بفعل قدرته على فرضه بالقوة إذا اقتضى الامر، وإن كان يفتقد لأبسط مقومات الحق او يناقض العلم او المنطق.

الا ان مثل هذا الخيار عند الدولة العظمي ليس وليد أوهام شخصية – وان كان مثل ذلك ليس مستبعدا – بل هو أيضا نتاج مسار تطور رأسمالية المركز والعولمة النيوليبرالية في صيغتها السائدة منذ الثمانينيات التي بلغت حدها التاريخي وبات تجاوز أزمتها يتطلب كسر القواعد السابقة واستبدالها بقواعد جديدة تتخذ هنا شكلا أكثر توحشا كما نراه اليوم. لا يغير من ذلك إذا كان المشروع المعني متشبعا بالطباع الشخصية لهذا القائد او ذاك من قادة الدول والسياسة او أباطرة الاقتصاد من أصحاب المليارات الذين يتحكمون بإدارة العالم، والذين يشتركون جميعا في تسخيفهم لمنظومة حقوق الانسان والديمقراطية والقانون الدولي ومبادئ العدالة والمساواة. وتمثل الحرب واستخدام القوة وافلات الأقوياء والأغنياء من العقاب الخيارات الدائمة والاستراتيجية لهؤلاء، لا مجرد التهديد بها كما كان عليه الامر لعقدين او ثلاثة عقود خَلَتْ، وهو ما بات من خصائص "رأسمالية المحدودية" الراهنة[4].

4 انظر في هذا الصدد مفهوم رأسمالية المحدودية capitalisme de la finitude التي يصف بها آرنو أوران رأسمالية اليوم، ويحلل خصائصها التي تميزها عن الرأسمالية الليبرالية والنيوليبرالية التي كانت هي السائدة حتى العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. يقول: "تسعى (الرأسماليات) الليبراليات إلى تنظيم الافتراس prédation (يقصد به الاستغلال الشديد او المتوحش) من خلال نظام أيديولوجي قوي وجذاب: تعميم الرفاه المادي الشامل الناجم عن السوق الحرة. أما رأسمالية المحدودية capitalisme de la finitude فلا تُثقلها مثل هذه الاعتبارات الأيديولوجية والمؤسسية، ولا تنظر إلى الحرب الاقتصادية على أنها مجرد استعارة. ... ما يميز حالتها الطبيعية هو وضع ليس حربًا ولا سلامًا. تجد هذه الرأسمالية نفسها دائمًا بين الاثنين، لأنها تجعل الصراع المسلح أفقها الطبيعي، لا استثناءً مؤسفًا ضروريًا أحيانًا لتعزيز قواعد السوق. إنها لا تعد بنمو الثروة الذي يشمل الجميع. على عكس الرأسماليات الليبرالية، هي لا تعد الشعوب/الناس بأي شيء تقريبا، سوى الحفاظ على سلطة الدول والشركات الخاصة أو زيادتها. بينما أحاطت النيوليبرالية نفسها بخطاب مهدئ – وإن كان خلافيا - حول فوائدها المزعومة وأهدافها السلمية، فإن رأسمالية المحدودية افتراسيه prédateur وعنيفة وريعية بشكل صريح. Arnaud Orain. Le monde confisqué - Essai sur le capitalisme de la finitude (XVIe-XXIe siècle). Flammarion 2025

في **الحالة الأميركية**، وبحكم موقعها القيادي في النظام العالمي، تعتبر الأهداف الخارجية المتعلقة بالعلاقات الدولية هي الأكثر أهمية مقارنة بالأهداف الداخلية لخوض الحروب. مع ذلك فإن الأهداف الداخلية ليست قليلة الأهمية ولا ثانوية، اذ كما سبقت الإشارة الى ذلك، فإن خيار عسكرة الرأسمالية والعولمة على هذه النحو، هو في جانب أساسي منه نتاج الديناميات الداخلية لتطور رأسماليات المركز. كما انه يتداخل أيضا مع اهداف داخلية (متعلقة بالسلطة والسياسة الداخلية) حيث تستخدم الحرب بوصفها آلية لتجميد التناقضات الداخلية وتغذيتها بشكل صدامي يحوّلها من تناقضات تحفز الديناميات الإيجابية داخل المجتمع والنظام المؤسسي، الى تضاد انقسامي يعطل التناقض الجدلي الذي يدفع المجتمع وأداء المؤسسات والسياسات الى الامام. بكلام اخر، فإن **بعض الأهداف الداخلية للحرب الأميركية على إيران يمكن ان تكون تقييد الممارسة الدستورية وتكريس اطلاق يد الرئيس على حساب الكونغرس الأميركي (مجلسي الشيوخ والنواب) وتمديد عمر توازنات اللحظة الراهنة داخلها بما في ذلك التمهيد لتجاوزات أوسع نطاقا على النظام الدستوري** (لا ننسى محاولة اقتحام مبنى الكابيتول عام 2021)، والتعمية على المواجهات الداخلية في ما خص سياسة الهجرة والاستخدام غير الدستوري لأجهزة الأمن الفيدرالية ضد الولايات الديمقراطية، وتعميم خطاب الكراهية وخطاب الابتذال في السياسة، وصولا الى التغطية على فضائح ملفات إيبستين.

كما ان الحرب تمثل الوسيلة الأكثر فعالية من اجل محاصرة أي معارضة سياسية داخلية للإدارة الأميركية الحالية، التي يحمل شعارها الأساسي "لا ملوك بعد اليوم"[5] معنى شديد الوضوح في كونها معركة من اجل احترام الدستور والمؤسسات، ومحاصرة مشروع تمديد عسكرة السياسة الخارجية الى الداخل الأميركي من خلال انتهاك الحقوق المدنية والسياسية للمواطنين، واضعاف المؤسسات الدستورية والممارسة الديمقراطية وتقاليدها. وكأن ذلك يشير الى **ان الهدف النهائي لسياسة الإدارة قد يكون توسيع عسكرة السياسة الخارجية وحروب الخارج وتحوليها الى عسكرة المجتمع والسياسة الداخلية أيضا.**

فهل ان الحرب على إيران هي الغاية النهائية، ام انها أحد وسائل تحقيق الأهداف الداخلية في تكريس هيمنة ممتدة على السلطة وعلى السياسة والثقافة في المجتمع الأميركي نفسه؟ يبدو ان الصراع الداخلي اشد خطورة هنا على اهداف الحاكم في الولايات المتحدة، وربما كان في الوقت عينه نقطة الضعف التي تهدد بكح الاندفاعة العالمية في هذا الاتجاه. والأرجح ان **المعارضة الداخلية ستكون أكثر قدرة على افشال هذا المشروع الامبراطوري من أي انتصار عسكري موهوم في أي مواجهة عسكرية معه من قبل دولة أخرى.**

عسكرة المجتمع: إيران

في نموذج عسكرة المجتمع، تحتل الأيديولوجيات الشمولية (الدينية في حالة إيران) أهمية بالغة. الأساس هو اختراق نسيج المجتمع والثقافة السياسية والشعبية من الداخل، وتعطيل الحرية والديمقراطية والمحاسبة في المجتمع من خلال آليات سيطرة مركبة تستخدم العقيدة الشمولية/الدينية ومن ضمنها **فكرة الحرب المقدسة الدائمة (في حالة إيران وحزب الله) ضد العدو.**

5 إشارة الى حركات الاحتجاج والتظاهرات التي نظمتها القوى المعارضة لسياسات الرئيس الأميركي التي تتجاوز الدستور سواء لجهة شن الحروب او لجهة انتهاك الحقوق المدنية في الداخل، والتي اتخذت حملة شعارها الرئيس "لا ملوك بعد اليوم" No more kings في إشارة الى تصرف الرئيس الأميركي كأنه ملك أكثر مما هو رئيس جمهورية منتخب. وقد نظمت الحملة حتى تاريخ كتابة هذا النص، ثلاث تظاهرات كبرى عمت 50 ولاية في حزيران/يونيو 2025، وتشرين الأول/أكتوبر 2025، وآذار/مارس 2026، وقدر عدد المشاركين فيها بأكثر من 8 ملايين شخص.

تُبَرَّر عسكرة المجتمع بكونها حالة ثورية طبيعية لمواجهة خطر خارجي (وداخلي) وجودي دائم، ويجري تعطيل آليات تداول السلطة داخليا من خلال الحرب الخارجية، واستغلال مواقع السلطة والحرب للتضييق قدر الإمكان على تبلور خيارات ومسارات سياسية بديلة تهدد **النظام المتوحد هنا مع السلطة والمجتمع بواسطة الأيديولوجيا**، ومن خلال آليات السيطرة على الجموع. **عسكرة المجتمع هنا هي الاساس وهي سابقة بمعنى ما على الحرب مع العدو الخارجي الذي تتحدد وظيفته الأولى والأكثر اهمية في تسهيل السيطرة الى المجتمع داخل البلد. وبهذا المعنى فإن قتال العدو يكون هدفا جهاديا قائما بذاته في الايديولوجيا السياسية والدينية للنظام، سواء ترجم ذلك الى خوض الحرب فعليا او بقي لعقود طويلة تهديدا قائما دون ان تقع أي حرب.**

لا تقتصر الحرب في هذا النموذج على شكلها العسكري ولا تخاض بالجيوش وحدها، بل هي حرب شاملة تخاض على كل المستويات وبكل الوسائل المتاحة. وعندما تمتلك الدولة المعنية قدرات هامة ويكون لها **مشروع امبراطوري للسيطرة الإقليمية على مقاسها (كما هو الحال بالنسبة الى إيران)، تنشأ فكرة التوسع باعتبارها امتدادا "للثورة" التي أنشأت النظام، وتصديرا لها.** وهي في الخارج محاولة لتعميم هذا النموذج بصفته يمثل التحرر والخلاص من الظلم. إلا ان **أدوات التوسع لا تتخذ بالضرورة شكل الاعمال العسكرية والاحتلال بالجيوش أو انشاء القواعد العسكرية** بتغطية من السلطات الحاكمة مؤسسيا كما هي الحال في النموذج الأول – عسكرة السياسة الخارجية كما في حالة الولايات المتحدة الأميركية - **بل تتخذ اشكالا أخرى منها استنساخ نموذج عسكرة المجتمع في مجتمعات او دول أخرى، او في مجموعة سكانية في هذا المجتمع على أساس الرابط الديني – المذهبي – الأيديولوجي وإعادة تشكيله في خدمة المشروع التوسعي** (وهي حالة ايران مع نماذج مجتمعية وميليشياوية في العراق ولبنان واليمن...الخ). **وقد تبين أن هذا النموذج انه قد يكون أكثر "فعالية" في تحقيق اهداف النظام، من القواعد العسكرية المزروعة في بيئات غريبة.**

لا تقتصر استراتيجية عسكرة المجتمع والسياسة الداخلية على التيارات الدينية، بل استخدمتها أيضا تيارات قومية وحركات ثورية للتحرر الوطني وتيارات اشتراكية...الخ، بما يوحي بوجود نسق ثقافي مشترك كامن الى هذه الدرجة او تلك، يتخذ اشكاله القصوى في تقديم الحرب المشروعة او المقدسة من وجهة نظر أصحابها، بكونها فعلا نضاليا بطوليا، محصنا بالإيديولوجيا والثقافة والملصقات والاغاني الثورية والقصائد الوطنية ووسائل التواصل الاجتماعي، ومعها منظومة سلوكيات وقيم تشكل نسقا متكاملا، تعززه او تعممه المؤسسات التعليمية ووسائل الاعلام في الدول المعنية حيث السلطة تسير في هذا الخيار، او حيث تتبنى هذا النموذج جماعة معينة داخل الدولة ضمن الجماعات الاهلية المتحاربة في الحروب الاهلية.

في هذا السياق، يتكرر غالبا تقديم أيام الحرب المشروعة والمقاومة والقتال من اجل التحرير والحق، بصفتها **"زمنا جميلا" او "زمنا بطوليا" لا نستعيده للذكرى والعبرة، بقدر من نستعيده لكي نعيشه من جديد.** فعندما يرفع شعار لا صوت يعلو فوق صوت المعركة، أو اميركا الشيطان الأكبر، او إسرائيل شر مطلق، لا يكون ذلك من باب التوصيف السياسي او التعبئة للحرب الواقعة غدا، بل يكون ذلك **آلية للتحكم بالوعي والسلوكيات والفعالية السياسية للناس، وادماجهم في المشروع السياسي الداخلي. يجري تدريجيا تقديس القوة في الثقافة السياسية والشعبية، والبطولة بمعناها المرتبط بالقتال دون غيره، وتقديس الشهداء والاستشهاد،** ذلك ان ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة، والكفاح المسلح هو أرقى اشكال النضال، ولأن الدم اقوى من السيف، ولأن "للحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق". **هكذا**

تعطى للحرب "المشروعة" نفسها قيمة أخلاقية، يمكن ان تصل الى حد القدسية (حروب كثيرة عبر التاريخ سميت حروبا مقدسة)، باعتبارها نمط حياة ونمط مقاومة للظلم الكوني.

العسكرة المزدوجة: إسرائيل

تمثل إسرائيل حالة متطرفة من الدمج بين نموذجي العسكرة في إطار مشروعها للسيطرة الإقليمية. فهي **تجمع بين نموذج الولايات المتحدة الاميركية** (عسكرة عدوانية للسياسة الخارجية مترافقة مع سيطرة اليمين المتطرف على السلطة المؤسسية)، **والنموذج الإيراني** (عسكرة المجتمع والاعتماد الشديد على الأيديولوجيا الدينية).

من جهة أولى، بنت دولة اسرائيل مؤسساتها وفق النموذج الليبرالي وصاغت تقاليدها المؤسسية الخاصة بها وفق هذا النموذج (مع بعض الخصوصيات). كما أنشأت جيشا عصريا متقدما وفق النماذج المعتمدة في رأسماليات المركز الصناعية. وخاضت حروبها ضد الجيوش العربية وحققت انتصارات بناء على ذلك، واستطاعت ان تتوسع جغرافيا من خلال احتلال أراض فلسطينية وعربية أخرى، كما استطاعت ان تعقد اتفاقيات ومعاهدات مع دول الجوار بناء على ميزان القوى العسكري بعد هذه الحروب.

من جهة ثانية كان اليمين الإسرائيلي يتوسع باستمرار في قاعدة المجتمع وفي مؤسسات الدولة. وشكل اغتيال إسحق رابين عام 1995 نقطة تحول هامة في هذا المسار، أوصل الى تحكم اليمين المتطرف الإسرائيلي بالمؤسسات الإسرائيلية على النحو الذي يتجلى اليوم في حكومة نتانياهو الراهنة. **العنصر الذي سهل هذا التحول يكمن في ان بناء مجتمع الاستيطان الإسرائيلي على أساس وعد بلفور والفكرة الصهيونية حصل بشكل متدرج وزُرِع في فلسطين في وقت سابق على إنشاء الدولة الذي حصل بموجب قرار الأمم المتحدة عام 1947. فقد تم بناء هذا المجتمع بصفته مجتمعا حربيا مستندا الى أيديولوجيا توراتية، وهو ما كان ضروريا من اجل استقطاب اليهود الى فلسطين، ومن اجل بناء الدولة في مراحلها الأولى. وبعد فترة استقر وضع الدولة ومؤسساتها وجرى تغليب الآليات المؤسسية من اجل بناء دولة حديثة ومتقدمة وفق المعايير الدولية وتقديم نفسها للعالم بصفتها "الديمقراطية" الوحيدة في الشرق الأوسط الاستبدادي.**

قبل قرار الأمم المتحدة عام 1947، كانت حرب إسرائيل ضد الفلسطينيين حربا هجومية استيطانية في صورة حرب "المجتمع اليهودي" من خلال ميليشياته المسلحة ضد المجتمع والفلسطيني في ظل دولة الانتداب البريطاني ومؤسساته. **الا انها بعد قيام الدولة بموجب قرار الأمم المتحدة،** وبحكم كونها دولة أنشئت بقرار دولي وسط بلدان عربية لم تعترف بها، **بنت إسرائيل سردية مختلفة تعتبر بموجبها انها في حالة حرب دفاعية دائمة ضد الدول العربية، اداتها الرئيسية الحروب بين الجيوش النظامية وفق مفهومها العصري** (دون ان ينتفي بالكامل الطابع المجتمعي).

إسرائيل لم تتوقف يوما عن كونها دولة حرب ودولة معسكرة منذ انشائها، لا بل منذ بدء الهجرة الصهيونية المنظمة اليها. الا ان سياسة اليمين الإسرائيلي المتطرف تقوم على تعظيم دور الأيديولوجيا الدينية التوراتية، وتعظيم عسكرة المجتمع بما يعزز القبول بالحروب ضد أعداء الخارج، وبما يعزز سلطة اليمين المتطرف في الداخل ويحولها الى طبيعة لصيقة بالدولة نفسها وبالنظام. يتجلى ذلك في اعلان إسرائيل وطنا قوميا لليهود، وفي ترسيخ نظام

الفصل العنصري – الابارتهايد – ضد الفلسطينيين، وفي سياسة الاستيطان التي أعطت أهمية أكبر للمستوطنين، وشجّعت ونظّمت وشَرْعَنَت اعتداءاتهم على الفلسطينيين، كما شَرْعَنَت الإبادة الجماعية في غزة، وصولا الى استصدار قانون إعدام/قتل الفلسطينيين بما في ذلك أسرى 7 أكتوبر[6].

تخوض إسرائيل حروبها الحالية تحت لواء أيديولوجية توراتية عنصرية وتوسعية (فكرة إسرائيل الكبرى) بدءا من فلسطين الى لبنان وسوريا وصولا الى إيران، حيث ترى فيها كلها حروبا وجودية وتحقيقا لنبوءات توراتية ولوعد إلهي- اكثر أهمية من وعد بلفور – بمنحهم الأرض، وحقهم في الاستحواذ عليها تنفيذا لهذا الوعد الإلهي، بما هو حق تاريخي توراتي لا قدرة لأحد على التشكيك فيه.

بين نموذجي إسرائيل وإيران

نحج اليمين الإسرائيلي في عسكرة المجتمع بناء على أيديولوجية دينية توراتية، لا بل حتى **المعاهدات التي عقدتها اسرائيل خلال السنوات الأخيرة بات لها مسمى دينيا توراتيا هو الاتفاقيات الابراهيمية**، بعد ان كانت تسمى سابقا بمسميات سياسية/جغرافية (كمب ديفيد، وادي عربة، أوسلو...الخ). الا ان ما يميز عسكرة المجتمع الإسرائيلي عن عسكرة المجتمع الإيراني هي في كون **النموذج الإسرائيلي يقوم على تعايش وتآزر فعال وديناميكي بين عسكرة المجتمع بواسطة الأيديولوجيا ونموذج الدولة العصرية الممأسسة والاعتماد على الجيش والتكنولوجيا. في حين ان النموذج الإيراني يقوم على تضخيم غير مسبوق للجانب الديني – المذهبي الذي يتجسد في نظام ولاية الفقيه حيث تندمج السلطة الدينية بالسلطة السياسية والعسكرية من خلال هياكل هرمية عمودها الفقري الحرس الثوري. اما مؤسسات الدولة في مفهومها "الحديث" في إيران فإنها أقرب الى دور الكومبارس، او الى توزيع أدوار لا يحجب هامشية هذه المؤسسات في القرار الفعلي داخل البلاد.** وبهذا المعنى، فإن الحكومة الإسرائيلية – كما هو حال إدارة الرئيس الأميركي الحالي – تواجه عقبات داخلية حقيقية امام تحقيق كامل رؤيتها وكامل مشروعها.

عناصر التشابه في عناصر العسكرة الداخلية بين النموذجين الإسرائيلي والإيراني تقوم على استخدام الأيديولوجية الدينية في الحالتين مع تمايز بينهما. ومن الناحية الرمزية، تتأرجح الممارسة والخطاب السياسي والايديولوجي في إسرائيل بين وعدين ارضي هو بعد بلفور، وإلهي (وعد يهوه لموسى بأرض الميعاد)، ويجري التركيز على احد هذين الوعدين حسب الضرورة. اما في إيران، فإن الخطاب الأيديولوجي والسياسي احادي بدرجة أكبر حيث ان الحاكم – المرشد الأعلى، ليس سوى وكيل عن الحاكم الفعلي الذي هو الامام المهدي المنتظر الذي تتوقع عودته في نهاية التاريخ البشري. القدرة على المرونة والتعدد هنا اقل من الحالة الإسرائيلية. الا انه قبل قلب هذه الصفحة، تجدر الإشارة الى ان النموذج الأميركي في عهد الإدارة اليمينية الحالية يظهر تنامي تأثير الأيديولوجيا الدينية في السياسة الخارجية والداخلية (الى جانب أيديولوجية صفقات الاعمال والبيزنيس)، حيث ان التأثير التوراتي في صيغته المسيحية - الانجيلية الصهيونية يتحول اكثر فاكثر الى صيغة خاصة من الأصولية الدينية تستخدم بكثافة اكبر من اجل تبرير الحروب.

6 صادق الكنيست الإسرائيلي على هذا القانون بشكل نهائي بتاريخ 31 آذار/مارس 2026، وهو يسمح بإعدام الفلسطينيين الذين يرتكبون جرائم قتل في حين لا يطبق حكم الإعدام على الإسرائيليين الذين يرتكبون الجرم عينه. كما يسمح القانون بإعدام الاسرى الفلسطينيين الحاليين "الأشد خطرا" ممن شاركوا في عملية 7 أكتوبر والحرب التي تلتها، أي انه يطبق بشكل رجعي على أفعال سابقة على اقراره.

كأن الحرب الحالية بين اميركا وإسرائيل وإيران (وهي حرب على المصالح الجيوسياسية والطاقة والسيطرة على الممرات البحرية...الخ)، تقدم نفسها في جانب هام من الخطاب الأيديولوجي للدول الثلاث على انها حرب بين ثلاث اصوليات: يهودية، وإسلامية، ومسيحية/ انجيلية صهيونية. أي بكلام اخر، هي حرب أصوليات ابراهيمية ثلاث.

هل دور الافراد مستبعد بالكامل؟

تلعب الحروب ضد أعداء خارجيين، دورا محوريا في تأمين شروط الاستمرار في الإمساك بالسلطة، وتعطيل او تحييد الآليات المؤسسية التي يمكن ان تضعفها، حيث ان حالة من السلم والاستقرار في العلاقات الخارجية دون وجود تهديد وجودي من أعداء حقيقيين او وهميين، يمكن ان يقوض سلطة "اباطرة الحروب" في الداخل.

والحروب بما احداث خطيرة واستراتيجية، لا تعني استبعاد المصالح الفئوية الضيقة، ولا حتى العوامل الفردية او الشخصية للقادة المؤثرين في هذه اللوحة الشاملة والمعقدة، وهو ما ينطبق الدول الثلاث التي تناولناها أعلاه:

- **بالنسبة الى إسرائيل**، رئيس الحكومة الإسرائيلية كان يلجأ الى التصعيد العسكري كلما تم استدعائه للمثول امام القضاء بتهمة الفساد. كما ان الرئيس الأميركي طلب بشكل رسمي من الرئيس الإسرائيلي وقف هذه المحاكمة بذريعة الانتصارات العسكرية الكبرى مما يشير الى أهمية ذلك. كما يلمح ذلك الى ان الآليات المؤسسية للدولة ليست كلية الخضوع لإرادة الحكومة اليمينية المتطرفة.
- **بالنسبة الى الولايات المتحدة الأميركية**، لا يمكن اغفال **واقع أن الحروب الخارجية** (إيران، فنزويلا، إيران مجددا) ولا الحروب التجارية مع الصين وسياسة التهديد لأكثر من دولة او منطقة في العالم، **تتزامن مع المشكلات الداخلية المرتبطة بملف ايبتسين ومحاولة التغطية على تورط الرئيس الأميركي فيه. كما لا يمكن فصل كل ذلك عن توجه الإدارة الأميركية العدواني في السياسة الداخلية وتسعير خطاب الكراهية (تجاه المهاجرين مثلا) او الخطاب الديني (المسيحية الصهيونية) والصراعات الحادة على التعيينات في القضاء وفي الإدارة الأميركية والجيش ولا الاستقالات والإقالات**[7]، **وما تواجهه هذه السياسة من مقاومة متصاعدة (حملة لا ملوك بعد الآن)**. وهنا أيضا لا تزال هناك مقاومة متصاعدة من المؤسسات لمواجهة هذه السياسة الى تشعل حربا عسكرية او سياسية او اقتصادية لمواجهة المعارضة الداخلية وتقويض عمل المؤسسات وتقاليدها "الديمقراطية".

- **بالنسبة الى إيران**، فإن النظام واجه خلال العقد او العقدين الأخيرين **حركات احتجاج** متكررة، بعضها شكّل تهديدا للنظام (الحراك الشعبي إثر اغتيال مهسا اميني 2022، والاحتجاجات التي شارك فيها البازار ديسمبر 2025). كما لا ننسى الصراعات داخل النظام نفسه وعلامات الاستفهام الكبيرة على **مقتل رئيس الجمهورية إبراهيم رئيسي** بشكل غامض عام 2024، والصراع على خلافة خامنئي...الخ، وصولا الى الغموض والارتباك الذي يلف وضعية القيادة السياسية للبلاد مع اغتيال المرشد الأعلى وقادة

7 بتاريخ 2026/3/4 وفي عز المعركة ضد إيران، اقال وزير الدفاع الأميركي رئيس الأركان في الجيش الأميركي الجنرال راندي جورج، بشكل فوري، وبذلك بلغ عدد كبار الضباط الذين شملتهم مثل هذه القرارات 13 ضابطا. كما كشف النقاب عن تأخير ترقيات عدد من الضباط لاسيما النساء ومن ذوي الأصول الافريقية. كما تمت إقالة وزيرتي العدل بام بوندي ووزيرة الامن الداخلي كريستي نوم، وكلتاهما من اشد المدافعين عن سياسة الرئيس وخياراته، وكذلك استقال/اقيل وزير البحرية جون فيلان أثر خلاف مع وزير الدفاع (المصدر: الصحافة).

اخرين في بداية الحرب الحالية. إن **احتياج هذا النظام للحرب مع الأعداء الخارجيين اكيد لضرورات الحفاظ على السلطة في الداخل**، مع الاختلاف التالي: ان **مؤسسات الدولة الموازية لسلطة المرشد والحرس الثوري هي اكثر ضعفا، ولا تشبه الصراع بين تيارات سياسية (جمهوريين و ديمقراطيين، او ليكود وعمل) بما هي صراعات داخل النظام نفسه في الولايات المتحدة وإسرائيل؛ بينما هي حالة ايران صراع من خارج النواة الصلبة للسلطة الحقيقة، الأمر الذي يفسر كون الاحتجاج في الشارع لا في المؤسسات الموازية، مع العلم ان احتمال تطور التناقض الداخلي مع هذه المؤسسات غير مستبعد في ضوء التطورات الراهنة**[8].

خاتمة مؤقتة: عود على بدء

نعود الى الأسئلة التي ابتدأنا بها هذه النص. يبدو لنا ان الترابط بين الأهداف الخارجية والداخلية للحروب المعاصرة المعنية – وهو ما نركز عليها هنا – عضوي وشديد ولا يمكن تجاوزه[9]. فالحروب ظاهرات معقدة تتداخل فيها الأهداف الخارجية والداخلية، والعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأيدولوجية، بل حتى لا يمكن تجاهل العامل الشخصي المتعلق بالأفراد الحكام في هذه الحالة، سواء كان ذلك من منظور اعلاء المصالح الفئوية، او حتى الميول والخصائص الشخصية لصاحب القرار، ومدى قدرته على التحكم بالمؤسسات او تجاوزها.

تقوم بين الأهداف الخارجية والداخلية علاقة تأثير في الاتجاهين، كما انهما يتبادلان المواقع والقدرة على تحديد المواقف والتطورات الآنية ضمن المسار العام للحرب، لجهة درجة العنف او الدخول في التفاوض او درجة الاعتماد على الإيديولوجيا او الخطاب الشعبوي، او الاستسلام، او السعي الى الانتحار. وفي ظروف معينة، يمكن لهذه العوامل الشخصية ان تلعب دورا كبيرا في تحديد مآل الصراع، لاسيما إذا كانت هناك عناصر تساهم في تحييد او تحقيق توازن بين العوامل والديناميات التي لها أثر استراتيجي. فحالة التوازن بين الأطراف المتحاربة مباشرة، او بين أطراف النظام السياسي داخليا، او القدرة على التفرد في السيطرة على المؤسسات يمكن ان تولد في ظروف معنية حالة تمكن الحاكم الفرد من اتخاذ قرارات شعبوية خارج السياق المألوف والتقاليد المؤسسية، وصولا الى قرارات لا ليس في انها تضر بمصالح البلد، او حتى وصولا الى خيارات انتحارية.

من الناحية الفعلية، إن أي دولة او طرف محارب اخر، لا يخوض حربا واحدة، بل هو يخوض على الأقل حربين الأولى ضد العدو الخارجي المعلن؛ والثانية ضد الخصم الداخلي في الصراع السلطة في دولته نفسها؛ لا بل قد تكون أكثر من حربين في الحالات الأكثر تعقيدا.

بهذه الفكرة ننهي هذا النص، على ان نقوم لاحقا باختبار مجمل التحليل الوارد فيه مَطَبَّقا على الحرب الحالية ومقدماتها في لبنان.

8 ظهرت بعض العلامات على وجود ارتباك وغموض وبعض التناقض داخل القيادة الإيرانية اثناء المفاوضات مع الولايات المتحدة بوساطة باكستانية، يضاف الى الطبيعة الانفعالية لتصريحات الرئيس الأميركي وتهديداته، مما أضاف المزيد من الغموض على مآل الحرب والتفاوض بين الطرفين.

9 في عودة الى الاستشهاد الافتتاحي بكلام بولانتزاس، يعتبر هذا الأخير ان احتكار الدولة لحق استخدام العنف الشرعي – الذي هو في أساس قيام الدولة حسب فهم ماكس فيبير – هو نفسه الأساس الذي تقوم عليه الحرب بما هي مماسة هذا الحق باحتكار العنف تجاه الشعوب والدول الأخرى. وبهذا المعنى هما وجهات لعنف واحد، لا يمكن عزل أحدهما عن الاخر بحكم ان أي دولة/سلطة يكون لها بالضرورة اهداف متعددة المستويات خارجية وداخلية، لا يمكن اختزالها بجانب او بعد واحد دون غيره.

annd
Arab NGO Network
for Development
شبكة المنظمات العربية
غير الحكومية للتنمية

www.annd.org